كانت المشاهد صادقة حتى أقصى درجات الألم

"شو صار" عرض أول تحدّى قرار المنع وفتح نقاشاً عميقاً داخل العائلة الواحدة

لا يزال فيلم "شو صار" للمخرج السينمائي ديغول عيد مثال جدل واخذ وردّ، اذ اكدت ردود فعل المشاهدين التي تلت عَرض الفيلم في "الهنغار – امم للتوثيق والابحاث" في حارة حريك مدى متابعة الشباب والمثقفين، من اعلاميين وكتاب مسرح وسينما، لقضية عيد وموضوع فيلمه الذي يشكل واقع حال كل لبناني عاش الحرب. عرض الوثائقي جاء ضمن سياق "ثقافي – اكاديمي" بعدما سمح الامن العام بعرضه من هذه الزاوية فحسب، لذا كان لعدد محدود من الافراد فرصة مشاهدته ثم مناقشته ضمن حلقة حوار بين عيد والمشاهدين ادارها رئيس قسم الثقافة في جريدة "الاخبار" بيار ابي صعب.

في المستهل شرح ابي صعب رمزية عرض الفيلم في "امم للتوثيق" قائلا: "انه فعل عصيان مدني لقرار الامن العام وللقوانين البالية. وان "امم للتوثيق" تعمل لارشفة الذاكرة وحفظها وفتح السجال حولها صراحة، معلنا ان الفيلم سيُعرض مطلع كانون الاول في واشنطن بدعوة من "فريدوم دي سي".

وشكر عيد "امم" لأنها "اتخذت قرار عرض الفيلم قبل ان يسمح الامن العام بعرضه في الاطار الثقافي – الاكاديمي، لانها تؤمن بأن لكل لبناني الحق في ان يعبر عن رأيه بحرية، ويجب ان نكون صرحاء حتى يعيش ابناؤنا بسلام. اعرف ان الحقيقة مكلفة لكن لا بد من ان تقال".

عرض الفيلم المشاهد كما سردها عيد في مقابلته مع "نهار الشباب" في 21 تشرين الاول الفائت، والمشاهد صادقة حتى اقصى درجات الالم، فعيد لم يكتب نصا ولم يلزم الشخصيات الحقيقية قول امور معينة والتحفظ عن اخرى، بل تصرف على سجيته وسمح للشخصيات في المقابل بالتصرف على سجيتها. وكانت فرصة للمشاهد والصحافيين الذين كتبوا عن الفيلم دون مشاهدته، لمعاينة الوقائع وملاحظة حركات ايدي الشخصيات وتعابير الاوجه وآرائها في القضية التي دفع فيها الثمن اشخاص من عائلتي عيد ودياب على حد سواء. انقسمت آراء عائلة عيد في مسؤولية اميل عيد في المجزرة. وقد واجه ديغول اميل عيد، الذي ظهر في الوثائقي وآثار التشنج واضحة عليه اثناء حديثه. وعندما سأل ديغول عرابه: "لماذا لم ترفعوا دعوى قضائية؟ هل يشمل العفو هذه المجزرة؟". قال العراب: "صنفت على انها من جرائم الحرب لان فيها ارتباطات حزبية، اردنا ان نرفع دعوى لكن اميل لم يسمح لنا لانهم قد يعتبرونه متورطا". وقال ديغول لإميل عيد في مشهد: "قلت لي في زيارتي الاولى اليك ان للمجزرة ابعادا ايجابية وسلبية لكن اتدرك ما فعلت المجزرة في اولاد من ماتوا واهلهم؟ وكيف عاشوا بعد المجزرة وما حل بهم؟".

بكى كثر في القاعة، لاسيما في الدقائق الاخيرة من الفيلم عندما عاد عيد الى قريته وبكى في بيته بكاء مُرّاً وواجه قاتل والدته.

لم يتخذ عيد طرفا في ما عرضه انما عكس في المشاهد المه وآلام غيره ممن عاشوا الالم عينه، حتى آلام آل دياب الذين اعتقد انهم لو شاهدوا الفيلم لكانوا تعاطفوا مع عيد، لانه عبر عن واقع حالهم دون ان يهاجمهم.

وفيما اثنى كثر على ما عمل عيد، وجّه قسم آخر بعض انتقادات، من بينها ما قاله احد الصحافيين ان الفيلم ادبي – روائي وليس وثائقيا، لكونه لم يعرض وجهة نظر الآخرين، منتقدا عرض مشهد القاتل في خاتمة الفيلم، وواصفا اياها بـ "دورة جنون كلنا مشاركون فيها". لكن عيد اجابه ان "الفيلم حقيقي وفي سينما الحقيقة لا بد من عرض الحقائق كما هي حتى لو كانت موجعة، ولم يكن امامي حل عندما صادفته الا ان اقول له انه قاتل امي. علينا ان نعترف جميعا باننا مخطئون فما من انسان لم يخطئ في الحرب". اما في ما خص عدم اخذ وجهة نظر الطرف الآخر فقال: "لو اردت ان آخذ وجهة نظر الآخر وأسألهم ان يسمحوا لي بالتصوير لما تمكنت من التصوير بهذه الواقعية وتسجيل اللحظات على حقيقتها". واستشهد بما قالته هلا احدى قريباته التي قدمت اطروحتها عن المجزرة قائلا: "انها حاولت ان تعرف رأي الطرف الآخر، لكن الابواب اقفلت في وجهها حتى ان خالها لم يتعاون معها".

وتطرق عيد الى ما ورد في رد نضال دياب في "نهار الشباب" عن عدم مسامحته، ورد الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي اورد ان والده "كان مسؤولا عن احد حواجز القتل قرب مدينة حلبا" من دون ان يسمي "نهار الشباب"، قائلا: "نشرت احدى الصحف لماذا لا يسامح؟ قبل السماح لا بد من ان نعترف جميعا باخطائنا، وانا مستعد لان اسامح اذا جلسنا معا وتناقشنا الموضوع، وانا ادعوهم الى ان يشاهدوا الفيلم. ولمن يقول ان والدي كان يقف على الحواجز اود ابلاغهم انه كان جنديا في الجيش".

وسألت "النهار" عيد: "لماذا لم ترد على الردود التي وردت من عائلة دياب والحزب السوري القومي الاجتماعي في "نهار الشباب"، لا سيما ان دياب شككت في صحة ان تكون والدتك توفيت في المجزرة؟". فأجاب بانفعال واضح: "كنت مسافرا وانا لا ارد عبر البريد الالكتروني، وان اردت ان ارد فيجب ان يكون الرد وجها لوجه فاتناقش مع عائلة دياب وليس عبر صحافيين لم يشاهدوا الفيلم. انا لا اريد ان ادخل اللعبة الصحافية". ولم يجب عيد عن استفسارنا عن الزعم حول وفاة والدته في المجزرة او قبلها، لكنه اضاف: "اتصلت سيدة من عائلة دياب بـ"امم للتوثيق والابحاث" وتمت دعوتها لتشاهد العرض ولا ادري ان كانت في الصالة ام لا واعربت لـ"أمم" عن رغبتي في التعرف الى نضال والتحدث اليها والتفاهم حتى نفتح صفحة جديدة ولا نكرر اخطاء الماضي".

في النهاية قد يثير فيلم "شو صار؟" الجدل نفسه في كل مرة يعاد عرضه لابعاد "ثقافية – اكاديمية". لكن المؤكد انه لا يشكل فيلما تحريضيا البتة وفيه حقيقة موجعة يمكن كل لبناني الاتعاظ منها مهما كان دينه وانتماؤه دون ان يشعر في اي مشهد انه متهم. ولكن لا يمكننا ان نضع النقطة الاخيرة لهذا المقال من دون القول صراحة ان مشهد عرض قاتل والدة عيد الذي تجاوز الستين في صورة مهينة ومذلة للكرامة الانسانية كان فوق الاحتمال ويحق للامن العام المطالبة ببتره، فكثر اقترفوا الجرائم في زمن الحرب، وطبعا لا نبرر لهم، لكن لا يجوز عرض مواجهة حقيقية معهم في صالات السينما، فكل انسان بريء حتى تثبت ادانته ضمن محاكمة عادلة وليس في مواجهة شاءت المصادفات ان تتم.

باسكال عازار